الفصل الثانى

دور المنهج التربوى فى بناء الإنسان ، فى عصر العولمة

- تمهيد
- الثبات - التغير - المعاصرة.
- مشكلات العولمة.
- إشكالية المنهج التربوى فى عصر العولمة.
- منطلقات لدور المنهج فى بناء الإنسان فى عصر العولمة.
- دور المنهج التربوى فى بناء الإنسان فى عصر العولمة.
- خاتمة.
- المراجع.

تمهيد:

المنهج هو تفسير للفلسفة التربوية القائمة، إذ إنه يعكس السياسة التعليمية التى ترسمها الدولة، كما أنه الميدان الذى من خلاله تتحقق الأهداف التربوية المرسومة والمنشودة، لذا فهو بمثابة المجال الذى تتصارع فيه الآراء والعملية التى تتضارب فيها الأفكار. وعليه، يمكن القول بأن الفرد يستطيع أن يفهم سياسة بلد ما، وأن يعرف الاتجاهات السائدة فيه، وذلك عن طريق معرفته للمناهج الدراسية المعمول بها والمطبقة فى مدارس ذلك البلد.

وبعامة، لا يحتد النقاش، ولا يثارجدل حول أى موضوع من الموضوعات، مهما كانت أهميته وخطورته، مثلما يثارحول المنهج، إذ يشتد الجدل حوله بين رجال التربية والمعنيين بشئون التعليم والمتخصصين فى المواد العلمية (الأكاديمية) فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين رجال السياسة، والاقتصاد، والاجتماع من جهة أخرى، وقلما يتفق هؤلاء وأولئك اتفاقًا كاملاً على مواد المنهج، ومحتوياته، ومقرراته.

بسبب ما تقدم، شهدت عملية تطور المنهج عدة مراحل، تأرجحت ما بين الثبات والتغير، وانتهت بمحاولة عصرنة المنهج، بما يتفق ومتطلبات مجتمع المعرفة، من حيث التدفق المعلوماتى، والتقدم التقنى.

وقبل التطرق لدور المنهج التربوى فى بناء الإنسان، يكون من المهم بمكانة، توضيح دلالات كل من الثبات والتغير والمعاصرة، إذ فى ضوء هذه الدلالات، يمكن فهم وإدراك أبعاد إشكاليات المنهج التربوى فى عصر العولمة.

يسير العالم الآن فى طريق مادى بحت توارت فيه واحتجب الكثير من القيم والمبادئ والمثل والأخلاق. أيضًا، يعيش العالم الآن فى ظل توازنات رهيبة، بحيث أصبح انفجار العالم وتدميره ممكن الحدوث بين لحظة وأخرى وهو قيد أنملة إذا ما أخطأ أحد أجهزة الحاسب الآلى (الكمبيوتر) لإحدى القوى العظمى، فى أحدحساباته.

واليوم، بدلا من الهواء النقى يستنشق الناس الإشعاعات الذرية، بسبب التجارب النووية والتفجيرات الذرية. وبدلاً من الماء الزلال الصافى، يشرب الناس الماء الملوث المسموم، بسبب نفايات وبقايا التكنولوجيا (المصانع، السفن، الغواصات)، التى لا تجد لها سبيلاً للتخلص منها غير إلقائها فى الأنهار، والبحار، والمحيطات.

ومن الغريب حقًا، والعالم يعيش فى توتر، أن يزداد توتره بانفجار القشرة الأرضية فى إحدى بقاع العالم، لتخرج الغازات السامة من جوف الأرض كى تقضى على ألوف من الناس، وتحصدهم فى زمن قياسى تحسد عليه، إذ كان أقل بكثير مما تستطيع أن تفعله أعظم الأمراض المستعصية أو الأوبئة الفتاكة.

وفى النهاية، ما أن بدأت أزمة علاج الأمراض السرطانية تنفرج، وبدأت تباشير الأمل المتمثلة فى جهود العلماء والأطباء لمحاولة استخلاص أوتخليق وسائل علاج فعالة لبعض الأمراض المستعصية، صدم الناس بظهور مرض «الإيدز» على السطح، حيث أثبتت التجارب العلمية أن هذا المرض قد يكون خطرًا يهدد البشر ية.

باختصار، يسود التوتر جميع جنبات العالم اليوم، ويعلو القلق وجوه الناس الآن، وذلك بسبب ما سبق ذكره، وبسبب أمور أخرى كثيرة باتت تهدد أمن وسلامة الإنسان، إذ نجد تيارات قوية متطرفة تدعوالناس إلى ردة فكرية للخلف للتخلص من التكنولوجيا بسبب الكوارث التى كانت وراءها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وفى المقابل، نجد من يدافع دفاع الأبطال وباستماتة عن التكنولوجيا بسبب ما قدمته من خير ورفاهية للعالم. وبدون الدخول فى متاهات (بالنسبة للقضية السابقة) ليس محلها هذا المكان، يزعم الكاتب أن قضية الأصالة والمعاصرة لهى بحق مشكلة خطيرة فى عالمنا اليوم.

وبالنسبة لنا نحن التربويين، باتت مشكلة الأصالة والمعاصرة، مشكلة تؤرق فكرنا، وتجعلنا فى أغلب الأحيان لا ننعم بالهدوء والسكينة والنوم الهادئ. ولعل مشكلة الأصالة والمعاصرة، من أحد الأسباب المهمة التى كانت وراء انعقاد عديد من المؤتمرات. وسوف نناقش هذه القضية من منظور تأثيرها المباشر على المناهج، وذلك على النحو التالى :

إن مشكلة الثبات والتغير بالنسبة للتربية بعامة، وبالنسبة للمناهج وبنائها بخاصة، لهى مشكلة لا يمكن إغفالها أوتجاهلها، وتعد من المشكلات المصيرية التى ينبغى إخضاعها للدراسة العلمية [١] . ويرجع السبب فى كونها قضية خطيرة، أن الناس يؤمنون بشدة فى قوة التربية وينتظرون الكثير جداً منها. وحيث إن المدرسة مؤسسة اجتماعية، فإن التوتر الذى يسود جميع جنبات العالم الآن، والقلق الذى يعلو وجوه الناس فى وقتنا الحالى لسوف يؤثران عليها، وعلى ما تقدمه من تعليم، وذلك بالطبع ينعكس بصورة سافرة، صريحة على المناهج التربوية. ويرجع السبب فيما تقدم إلى أن قضية الثبات والتغير لم تحسم بعد على مستوى الحياة اليومية العادية. وبالتالى، فهى لم تحسم على مستوى المدرسة وما تقدمه من مناهج، فحتى الآن لا توجد إجابات واضحة ومقنعة عن مثل التساؤلات التالية :

أين نبحث عن حلول لمشكلات مناهجنا التربوية ؟ أنبحث عنها فى الكتب (التراث) أم نبحث عنها فى عناصرها الفعلية الواقعة أمام أبصارنا (المعاصرة) ؟

وهنا تظهرالحيرة والربكة، لأنه إذا اخترنا التراث لتوثيق الروابط بيننا وبين أصولنا أُتهمنا بالتخلف، وبأننا نهمل الواقع وكأنه لم يقع. وإذا اخترنا المعاصرة، سوف تكال لنا الاتهامات، أيضًا ، على أساس أننا ننسى أو نتناسى جذورنا، وسوف يقال لنا : أين هى (هويتكم) القومية إذا تفككت العرى بين اليوم والأمس ؟ وماذا يبقى لكم إذًا إذا قطعتم الجذور ووشائج النسب بينكم وبين تراثكم ؟

إننا اليوم مطالبون بتحقيق أمرين فى وقت واحد:

أولهما: أن يكون فى حياتنا حبل تربوى ثابت متصل بتراثنا.

وثانيهما : أن نعطى لجديد عصرنا من المناهج التربوية حقه الكامل من الاهتمام.

وقد يبدو الأمر السابق بسيطًا، سهلاً لغير التربويين، ولغير المتخصصين، إذ قد يعتقد هؤلاء أو يرون أنه حتى الآن لم توجد أية عقبات على الطريق بالنسبة لهذا الموضوع، وذلك على أساس أنه يمكن الموازنة بين الجديد والقديم فيما تقدمه المدرسة من تعليم، ومناهج تربوية. ولكن التربويين من ذوى الفكر الثاقب، والرؤيا واضحة المعالم، سوف يدركون أن المشكلة أخطر من ذلك بكثير، وبخاصة إذا تطلب الأمر أن نعطى لجديد عصرنا حقه الكامل من الاهتمام، حتى ولو أدى ذلك إلى تمزيق الروابط بيننا وبين أسلافنا، وذلك على أساس أنهم عاشوا حياتهم، ومن حقنا كذلك أن نعيش نحن أيضًا حياتنا. وفى هذه الحالة، تقف المدرسة عاجزة تمامًا، وذلك لأن اقتلاع الجذور من مناهجنا أمر فى حكم المستحيل، ويصعب تحقيقه. وحتى لو فرضنا أنه يمكن تحقيق ذلك، فهل تستطيع المدرسة أن تواكب تمامًا الحياة المعاصرة، بحيث تقدم مناهج جديدة تناسب روح العصر وتعكس آخر ما أفرزه وأجاد به العلم ؟

لقد ظهرت ثلاثة اتجاهات بالنسبة لمشكلة «الثبات» و«التغير»، هى [٢] :

* ان عنصر الثبات جوهر يتعذر على العقل أن يتصور إمكان زواله، لأنه لولا ذلك الثبات ما استقرت الأمور بتاتًا. وفى هذه الحالة، يكون التغير مناقضًا للعقل، ويكون بمثابة وهم تتوهمه الحواس فى إدراكها الأشياء.

* التغير هو الحقيقة التى لا حقيقة سواها، فما الشىء من الأشياء إلا سلسلة طويلة من حالات يعقب بعضها بعضًا. وفى هذه الحالة، يكون الثبات معناه الجمود الذى قد يصل إلى حد الموت.

* ان «الثبات» و «التغير» ينبغى أن يسيران معًا جنبًا إلى جنب، حيث يكون الثبات من شأنه«المبادئ» أو «الأطر»، وأما التغير فهو من شأن الحالات التفصيلية التى تندرج تحت تلك المبادئ أو التى تملأ تلك الأطر. فالمبدأ أو الإطار، تصور عقلى ذو ثبات، ولكنه فى الوقت ذاته حقيقة مفرغة من تفصيلات الحياة، ثم تأتى حياة الناس العملية بما يملؤها من أحداث، فنقيمها - ارتفاعًا أو انخفاضًا - بذلك المعيار الرياضى المفرغ، وهو «المبادئ» أو «الأطر» أو«الأنماط». وعليه، فالثابت بيننا وبين أسلافنا هو تلك المبادئ، والمتغير هو تفصيلات المواقف والأحداث التى تملؤها.

ولعل الاتجاه الأخير هو أقرب تلك الاتجاهات بالنسبة لقضية «الأصالة والمعاصرة» فى مناهجنا التربوية، إذ ينبغى أن تعكس المناهج التراث بشرط ألا يقتصر الأمر على ترديد أقوال السالفين المأثورة فقط، دون أن يغير ذلك شيئًا من سلوك الطلاب،بمعنى أنه لا يجب أن يكون الأمر مجرد تسميع لمبادئ السلف، سواء أكان ذلك كتابة أم خطابة أم إذاعة، دون أن يكون لتلك المبادئ دورها المؤثر فى حياة الطلاب وطريقة تفكيرهم.

ومن ناحية أخرى، ينبغى أيضًا أن تعكس المناهج روح العصر بحيث نرى كل جديد من حولنا رؤية عصرية، تساعد على التقدم والتطور وعدم الجمود، فلا نقف فى أماكننا كالمومياوات صامتين، لا حياة فينا ولا روح.

إن ما تقدم بمثابة تربية جديدة، تقوم على سلوك تتجسد فيه تلك المبادئ المراد لها أن تكون موصولة بين الماضى والحاضر. ولتحقيق ما سبق، يجب مراعاة المرتكزات الأساسية التالية عند بناء المناهج التربوية.

* الثقافة بمعناها الذى يجعلها طابعًا يميز شعبًا من سائرالشعوب هى ضرب من ضروب « الأدوات»، التى يستعين بها الصانع فيما يصنعه، وعليه ينبغى أن تكون مناهجنا هى الأداة الاساسية التى من خلالها تظهر هويتنا المصرية، وانتماؤنا العربى.

* إن «الأفكار» التى تستحق اسمها هذا، هى بمثابة أدوات عيش، وأدوات عمل، حتى وإن لم يكن ذلك الجانب واضحًا فيها أمام العين، وعليه ينبغى أن تركز المناهج على الأفكار الحياتية التى يحتاج إ ليها الطالب فتكون بالنسبة له أسلوب معيشة ومنهج حياة. وبمعنى أخر ينبغى ألا تهتم المناهج بالأفكار لمجرد أنها مجموعة من العبارات تقدم للطلاب كى يحفظونها، ويستظهرون ألفاظها، وبذا تكون من قبيل اللغو الفارغ، وإنما يجب أن تركز المناهج على تعليم الأفكار ذات المهام الوظيفية فى حياة الطلاب.

* إن مقياس قبول «ثقافة» لشعب ما، أو تعديلها حذفًا وإضافة هو صلاحيتها لأن تجعل ذلك الشعب أقوى، وأعلم، وأغنى وأرهف شعورًا. وإذا أخذنا فى الاعتبار أن المناهج هى الوسيلة الرئيسية لتحقيق أهداف المدرسة، وأن المدرسة هى إحدى مؤسسات المجتمع التى يرعاها، مهما كان النظام السائد فيه أو مهما كانت فلسفته

لأدركنا بسهولة أن المناهج هى المرآة التى تعكس الثقافة السائدة فى أى مجتمع من المجتمعات، وعلينا إذًا كى نكون بالفعل أقوى، وأعلم، وأغنى، وأرهف شعورًا، أن نسعى جادين لعصرنة مناهجنا لأنها وسيلتنا الأساسية لتغيير حياتنا بالفعل نحو ثقافة جديدة، تتناسب مع مقتضيات عصرنا الجديد.

فى ضوء الحديث آنف الذكر، تكون قضية عصرنة المناهج التربوية هى القضية التى ينبغى أن تشغل بالنا، وتحتل الحيز الأعظم من تفكيرنا. ويستوجب ذلك إجابة السؤال المحدد التالى :

ما المقصود بالمعاصرة ؟

كى نفهم ما يعنيه لفظ «المعاصرة»، ينبغى التعرض للآتى:

لقد كانت السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، بمثابة عالم جد، وعمل دائب، وسريع التطور والتغيير والتبديل فى أساليب الحياة ونظمها. وفى بدايات القرن الحادى والعشرين، تغير النمط أو الأسلوب الحياتى للإنسان، فلم يعد الفرد يعمل فى حياة رتيبة، فيقضى عشرات السنين من حياته العملية يطرق طرقًا لا تبديل فيها، ولا تغيير. لقد تغيرت الأنماط والأساليب، ولسوف يستمر تغيرها عدة مرات فى أثناء حياة الفرد العصرى. وأصبح العامل والفلاح وكل من يعمل فى الإنتاج أو فى الخدمات يحتاج إلى مستوى من المعرفة، ومن التأهيل للعمل. إن الإنسان المعاصر يقف الآن على أبواب مستقبل يرجى أن يكون مأمونًا، وبخاصة أن التغييرات السريعة التى تحدث الآن على مدى حياة جيل واحد فى العصر الحديث الذى يتسم بما يسمونه «الثورة العلمية التقنية»، لهى أكثر بكثير عما كان يحدث على مدى ألف سنة. إن الإنسان المعاصر، وهو يتطلع إلى مستقبل سعيد، يحاول دومًا حل ما قد يعترضه من مشاكل، ويعمل لدرء ما يتوقع من أخطاء، وذلك عن طريق رسم الخطط الملائمة لذلك المستقبل،وعن طريق تنسيق الجهود البشرية على المستويين : المحلى والعالمى باستخدام الأسلوب المعرفى العلمى، والتطبيق العلمى للتكنولوجيا الحديثة.

وجدير بالذكر، أن هناك عدة موضوعات مهمة تستحق الدراسة والاهتمام بها منذ الآن؛ لمعرفة صورة ذلك المستقبل الذى يتطلع إليه الإنسان.

ولعل أهم هذه الموضوعات : الإنسان والطاقة، والإنتاج فى القرن الحادى والعشرين ومستقبل كل من المواد الخام ومصنوعاتها (منتجاتها) ثم تطور وسائل النقل والمواصلات واختزان المعلومات.

ما تقدم، يقتضى تفاعل الإنسان العصرى مع الطبيعة فى ثورة التصنيع وعلاقته بالطاقة النووية والطاقة الشمسية ، وعلاقة الطاقة بإنتاج الطعام.

ويعتمد الإنسان المعاصر فى سبيله لمواجهة المستقبل على رفع الكفاية الانتاجية، وتنشيط الابداع والاختراع، وتعميم استخدام العلم عن طريق الإنتاج والإدارة. ويمكن إرساء قواعد النهضة العلمية التكنولوجية بالتركيز على التعليم وتطوير العلم وتطبيقه، وتحسين طرق الإدارة الإنتاجية العلمية برفع مستوى المعلومات فى فنون الإنتاج، وفى تدريب العاملين، وتأهيلهم للأعمال التى سيقومون بها فى مختلف (المجالات) (٣).

فى ضوء الحديث آنف الذكر، يكون المقصود بالمعاصرة أن يعيش الفرد على مستوى ظروف عصره، مادامت هذه الظروف لا تتعارض مع قيمه، وأخلاقه، ومبادئه، ومثله المنبثقة جميعها من القيم والمبادئ السماوية، وبذا لا يتهم الفرد بالتخلف أو الجمود أو الرجعية. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما يتعدى ذلك بالنظر إلى المستقبل، فيعمل الفرد على التخطيط لذلك المستقبل تخطيطاً علميًا، وبذلك يستطيع الفرد أن يعايش هذا المستقبل مهما كان يحمل له من مفاجآت، أو أمور غير متوقعة.

ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى كيفية أن يعيش الفردحاليًا، على مستوى ظروف عصر العولمة، التى تمثل عقبات كؤود أمام انطلاق الإنسان، لتحقيق مقاصده ومآربه. وهنا قد يتساءل البعض عن كيفية حدوث هذا، إذ من المفترض أن يحقق الفرد أقصى آماله وطموحاته فى عصر العولمة، حيث تتوفر تحت يديه إمكانات معرفية وتقنية هائلة.

هذا صحيح بالنسبة للفرد فى الدول المتقدمة، ولكن الحال يختلف تمامًا فى الدول النامية، حيث يواجه الفرد العديد من الصعوبات، وذلك ما يوضحه الحديث التالى.

مشكلات العولمة

لقد أثارت العولمة حالة من الذعر فى البلاد النامية، بسبب أهدافها الرامية إلى ضم تلك البلاد، وتحويلها إلى مجرد توابع. أيضًا، فى ظل هيمنة النظام العالمى الجديد، أصبح من الصعب إقامة حوار حقيقى، يقوم على أساس التنوع الثقافى. كذلك، فى ظل الحداثة المفروضة من قبل الدول الصناعية الغنية، من المستحيل خلق تيار فكرى جديد، يراعى مصالح الدول النامية، لحمايتها ضد سطوة وسيطرة الدول الصناعية.

بسبب ما تقدم، ترى بعض المجتمعات أهمية وضرورة التحفظ على الانفتاح الثقافى الكامل للدول المتقدمة تكنولوجيًا ومعلوماتيًا، خوفًا من تأثير التدفق المعرفى والثقافى على ثقافتها القومية، مما يؤثر فى تراثها المتوارث، ويعمل على فقدان هويتها وشخصيتها.

ومن أجل تبنى استراتيجية ثقافية قوية - فى مواجهة رؤى وأفكار الحداثة، التى تجوب العالم فى اتجاهاته الأربعة، من أجل السيطرة والهيمنة الكاملتين ثقافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعلميًا وإعلاميًا.. إلخ [٤] - نظمت اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة، ندوة فى شهر أبريل ٢٠٠١، تحت عنوان «استراتيجية الثقافة العربية». وقد تمت مناقشة قضية العولمة، بما تحمله من معانى الهيمنة والسطوة الاقتصادية، من خلال عدة محاور، تم خلالها تقديم مجموعة من الأبحاث المتنوعة، على قدر كبير من التعمق والفهم المستنير لما قد تواجهه أمتنا من تدفق ثقافى خارجى جارف..

وقد قدمت(أمانى عبد الحميد) عرضًا مختصرًا لبعض الأبحاث المقدمة، وهى:[٥]

الثقافة العربية والعولمة

فى ورقته البحثية أكد (أحمد أبو زيد) أن محاولات فرض التجانس الثقافى من خلال العولمة على المستوى العالمى أصبحت تواجه جهودًا ضخمة لمقاومتها للتأكيد على الهويات الثقافية للشعوب، أوما يطلق عليه التمايز الثقافى. فمفهوم العولمة بما يدعو إليه من توحيد الأفكار والقيم وأنماط السلوك على مستوى ثقافات العالم

كخطوة لإقرار الفهم المتبادل، قد يخفى وراءه إمكانية تجريد الشعوب من مقوماتها الثقافية المتميزة والمتفردة، لتتولى صياغتها وتشكيلها الشعوب الأكثر تقدمًا، وبالتالى تهميش تلك الثقافات.

صدام أم تفاعل

كما ألقى (ميلاد حنا) الضوء على التوجهات الفكرية المضادة للآراء الأمريكية الخاصة بصدام الحضارات، مثل مفاهيم «الحوار بين الحضارات» من أجل ترسيخ مفهوم «قبول الآخر» والاهتمام بمستقبل البشرية. موضحًا أن عملية قبول الآخر بمميزاته وعيوبه تلحقها عملية «التحرك الإيجابى»، حيث إن القبول يقود إلى الحوار وبعدها التعارف ثم الصداقة، ومن ثم تظهر «الأرضية المشتركة» أى أننا مختلفون ولو فى أشياء بسيطة، وهى فى الواقع ميزة.

ثقافة الديمقراطية

ومن منطق أن الديمقراطية شرط للتقدم يطلق (محمد نور الدين فرحات)عوة للتفكير فى الشروط المطلوب توافرها من أجل إشاعة مناخ من الثقافة الديمقراطية، ويتساءل عن كيفية حدوث ذلك. هل بإعادة صياغة نظام التعليم لتحتل التربية على احتدام الديمقراطية وحقوق الإنسان مكانًا «بارزًا» ؟ أم بالعمل على تجديد الفكر الدينى ؟ أم بتبلور طبقات اجتماعية ترتبط مصالحها بعملية التنمية الديمقراطية ؟ أم بتنشيط أدوار الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدنى الأخرى لتلعب دورًا فى إشاعة ثقافة الديمقراطية ؟ أم بكل ذلك ؟ أم بغير ذلك ؟

وتطرح الورقة المقدمة من (محمد السيد سعيد)، وهى بعنوان «نحو تنمية الصناعات الثقافية فى مصر»، قضية شائكة هى تصنيع الثقافة وخصوصيتها فى مصر، وتلقى الضوء على الأبعاد التى تنطوى عليها القضية، خاصة مع ما تتسم به البنية الثقافية من تناقض بين مدى خصوبتها والضعف البالغ الذى أصاب البنية الصناعية وافتقادها للديناميكية. حيث يرى أن مفهوم تصنيع الثقافة مفهوم حديث بيد أنه مفهوم غير متجانس ملئ بالصراعات، لكنه يحمل أصولاً فكرية. فمن وجهة نظره يجب أن تكون الثقافة متعالية عن «التسويق»، فعمليه تحويل المبدع إلى مصنع أو تاجر من شأنها أن تحول عملية الإبداع برمتها إلى النقيض. فالرسالة الإبداعية هى رسالة

بين المبدع والمتلقى دون أى وسيط تجارى يؤثر عليه. كما يوضح أن افتقار البنية الصناعية والثقافية للديناميكية، والتركيز الشديد على أسلوب التنميط فى الرسالة الإعلامية والتعليمية والسياسية، أدى إلى انخفاض القدرة على خلق مبدعين جدد. لذا فإن ما يرمى إليه هو تأكيد أن تصنيع الثقافة لاينطوى بذاته على حل إشكاليات ومعضلات الحيوية الثقافية والتكنولوجية للمجتمع لكنه يوفر آلية حفز مناسبة، تسهم فى حل هذه الإشكالية على المدى الطويل. وهو ما يتطلب توفير قوة دفع مناسبة للصناعات الثقافية فى بيئة تفتقر إلى التصنيع،ويعوزها آليات التجديد الثقافية والتكنولوجية، وعلى سبيل المثال الأزمات التى تهز أركان صناعات ثقافية قائمة بالفعل مثل السينما والأغنية.

رعاية الإبداع

أما (هدى وصفى) فقد تعرضت من خلال ورقتها لأهمية ورعاية الإبداع لتفعيل مشاركة المبدعين فى الحياة الثقافية. وقامت برصد بعض النقاط المهمة التى تمس جوهر القضية، وهى :

١ - رصد الواقع الراهن للثقافة المصرية من نهاية القرن العشرين، وتحديد إشكاليتها الأساسية والتحديات التى تواجهها.

٢ - تحديد الأهداف المبتغاة للعمل الثقافى فى القرن المقبل.

٣ - تحديد القضايا الأساسية للعمل الثقافى فى المرحلة القادمة.

٤ - اقتراح المشروعات المستقبلية الأساسية فى مختلف المجالات الثقافية فى مصر مع تحديد أولويات التنفيذ.

الإنتاج الفكرى الإلكترونى

ويكشف (محمد فتحى عبد الهادى) أن الإنتاج الفكرى العربى المتاح من أشكال الكترونية لا يزال محدودًا، ويعانى بعض الصعوبات، أهمها أن الطابع الغالب عليها هو الطابع الدينى أو الطابع الترفيهى دون التوجه نحو الأعمال العلمية والتراثية وأعمال الموسوعات الضخمة؛ لذا يدعو إلى الاهتمام بصناعة المعلومات بكل السبل على اعتبار أنها الصناعة الواعدة وأساس المجتمع المعلوماتى الحديث.

وقد يقول قائل : «إن التحفظات السابقة، كما ظهرت فى البحوث، التى قدمت فى ندوة : (استراتيجية الثقافة العربية)، تعكس فقط وجهات نظر المثقفين المصريين والعرب».

هذا غير صحيح، وينافى الحقيقة تمامًا، إذ توجد حاليًا وجهات نظر قوية، تعبرعما جلبته الحداثة، كما تعبر عنها العولمة، من خراب أكيد على الدول النامية. فعلى سبيل المثال، اجتمع فى (دافوس) فى أوائل عام ٢٠٠١، ثلاثون رئيس دولة وحكومة، وحوالى مائة وزير، ومئات من رجال الأعمال والسياسيين، حيث ظهر الغضب الشديد ضد مساوئ العولمة.

الغريب فى الموضوع، احتج مئات الألوف من البشر، فى الولايات المتحدة، على العولمة، خلال المؤتمر الذى عقد فى (سياتل) عام ٢٠٠٠، أى المؤتمر الذى عقد فى عقر دارهم، رغم أن الولايات المتحدة هى التى بشرت بالعولمة، وهى التى تتبنى أفكارها، وتحاول فرضها قهرًا وقسرًا على حلفائها.

وبعامة، تشتمل حركة مقاومة الرأسمالية الكوكبية المتمثلة فى ا لعولمة وتجلياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاتصالية، على جماعات متعددة ومتنوعة الخلفيات الفكرية والسياسية، كما يشارك فيها العمال النقابيون والمزارعون، وأنصار البيئة، ودعاة السلام، والحركات التعاونية، وبعض المنظمات النسائية، وممثلو المنظمات غير الحكومية المهتمة بحقوق الإنسان والديمقراطية، وجماعات الدفاع عن دول العالم الثالث، وإلى جانب الطلبة وأساتذة الجامعةوالإعلاميين وعناصر أساسية من الأنتلجنسيا الغربية.

وتكمن نقطة الاحتجاج الأساسية فيما تصنعه العولمة من نتائج تنعكس فى زيادة الفقر واتساع البطالة، فى الوقت الذى تستفيد فيه الاحتكارات الدولية . كما أن لائحة الاتهام تتوجه أساسًا لمثلث (البنك الدولى - صندوق النقد - منطقة التجارة العالمية) كأدوات لصنع سياسات تحرير التجارة وإسقاط الحدود، أو أدوات الهيمنة التى تمتص فى الواقع دماء الشعوب الفقيرة.

وتستند هذه الاتجاهات الرافضة للهيمنة الاقتصادية على العالم إلى كتابات

لأساتذة جامعيين ينتقدون دور المؤسسات الثلاث سالفة الذكر، ويبينون أسلوب الهيمنة الجديد الذى يسمح للبنك الدولى بصفة خاصة، بالتدخل فى النشاط الاقتصادى للدول المقترضة، ويفرض عليها سياسات لا تهدف إلى مساعدة هذه الدول على الإصلاح الاقتصادى، بل على تحقيق أكبر عائدمن الربح للبنك، فضلاً عن الهيمنة السياسية. وفى منشوراتهم يذكرون أن حجم تعامل هذا البنك يصل إلى تريليونى دولار، وأن الفائدة العائدة من هذه القروض تصل إلى ٣٥ ٪ تحصلها الولايات المتحدة لدورها الأكبر فى عملية القروض ولتحقيق هيمنتها السياسية المترتبة على ذلك.

أما منظمة التجارة العالمية، فهى المنظمة التى تجسد الليبرالية الجديدة فى صورتها المتطرفة. وهى تعنى ضمن ما تعنى - موتًا محققًا - للعالم الثالث، إذ تذكر الاحصاءات أن عدد سكان المعمورة يزيد - قليلا - عن ستة مليارات، يعيش أكثر من ثلثهم فى دول الجنوب، والغالبية العظمى منهم لا تعيش عيشة إنسانية، والدليل على ذلك أن ١٣ ٪ فقط من سكان العالم ينفقون ٦٨ ٪ من الانتاج العالمى. إنها عدم مساواة صارخة ورهيبة. والمؤسف أن منظمة التجارة العالمية هى الانتصار الساحق لدكتاتورية رأس المال فى أبشع صورها، كما أن هذه الليبرالية الجديدة والسوق الرأسمالية الموحدة خلقا رأسمالية الغابة، التى تعنى نهاية الدولة الوطنية والسيادة الشعبية ونهاية التنوير والقيم المصاحبة له، مثل التضامن والعدالة الاجتماعية، كما تعنى أيضًا ضياع مائتى عام من الثورة الديمقراطية(٦)

وعلى صعيد آخر، يرفض (مايك فيذرستون)، فكرة (ثقافة العولمة)، فيقول: «ويتضح من مختلف أشكال ردود الأفعال إزاء عملية العولمة ، أن احتمالات نشأة ثقافة عالمية موحدة تعد ضعيفة، وأن هناك ثقافات عالمية متعددة، (وإن كانت) كثافة التدفقات العالمية وسرعتها، فى عصرنا هذا، تدعم الشعور بأن العالم كيان واحد، مما يؤدى إلى انتشار أنماط ثقافية جديدة تتصادم فيما بينها. وقد تؤدى هذه الشبكة المعقدة من صور الصدام والاعتماد المتبادل بين العالمى والمحلى إلى نشأة ثقافات ثالثة، وإلى مزيد من التسامح، ولكنها قد تؤدى أيضاً إلى ردود فعل سلبية» (٧).

أيضاً يؤكد (مايك فيذرستون) رفض الفكرة التى طرحها (أوهميا Ohmae, 1987) الخاصة بنزع قدرة الدول القومية على العمل، عن طريق تطبيق «اقتصاد عالمى بلا حدود» ، فيقول: «ومن هذا المنظور فإن العولمة باعتبارها انتصاراً للبعد المكانى، تأتى بمعايير جوهرية للتجريد والتفكيك وتفريغ الحياة اليومية من معناها» (٨).

إشكالية المنهج التربوى فى عصر العولمة

لا يمكن أن تنسحب منظومة النظام التعليمي، ومنظوماتها الفرعية، المتمثلة في: منظومة التعليم والتعلم، ومنظومة التدريس، ومنظومة المنهج بمنظوماته الفرعية الجزئية (المحتوى - الأنشطة المصاحبة - الوسائط التعليمية - التقويم: التكوينى والتجميعي) من الأثر السلبى للعولمة، لأن منظومة النظام التعليمى نفسها إحدى منظومات المجتمع، التى تتجمع سوياً فى علاقات تبادلية التأثير.

وعليه، فإن تجليات العولمة السلبية تطبع بصماتها على المناهج التربوية، بدءاً من مرحلة تخطيطها وتصميمها، ونهاية بمرحلة تطبيقها وتقويمها.

والحقيقة، يواجه المنهج التربوى عديداً من المشكلات والإشكاليات، فى عصر العولمة، بعضها فى صورة مادية، وغالبيتها فى صورة معنوية.

وبالنسبة للمشكلات والإشكاليات المعنوية فهى تعكس قلق الناس وخوفهم من ظروف الحاضر والمستقبل، على السواء، إذ أفرزت العولمة عديداً من المظاهر النفسية والظواهر الاجتماعية، غير المألوفة والسيئة. فالعولمة من خلال تحقيقها للتواصل بين الأفراد فى كل مكان وزمان، نقلت لنا مجموعة من التصرفات الشاذة، التى بدأ يقلدها الأطفال والشباب، دون فهم ووعى بأن تلك التصرفات وليدة مجتمعات، لها تقاليدها وأعرافها، التى تختلف تماماً عن تقاليدنا الراسخة، وأعرافنا المتأصلة.

وللأسف، استطاعت الثقافة الوافدة التى نقلتها لنا العولمة، من أشتات متفرقة فى العالم، التأثير على سلوكيات الأطفال والشباب، بطريقة سلبية، مع مراعاة أن ذلك التأثير السلبى هو الهدف الأساسي، الذى يسعى أساطين العولمة لتحقيقه، من أجل تدمير المقاصد والتوجهات النبيلة لأطفالنا وشبابنا، على السواء.

ويجدر الإشارة إلى أن الدول المتقدمة، الداعية للأخذ بالنظام العالمى الجديد،

تعمل وسائل إعلامها الهائلة فى تأثيرها ، والسريعة فى انتشارها، والكبيرة فى حجمها، بجهد جبار ودؤوب، من أجل توصيل رسالتها، التى من خلالها تحاول تدمير الأنظمة الأخلاقية والدينية السائدة فى الدول النامية، أو التشكيك فى جدوى هذه الأنظمة على أقل تقدير.

ومن منطلق إمكانية التلاعب بالعقول، عن طريق الإعلام المرئى والمسموع، تحاول الدول المتقدمة نشر ثقافة العنف، بدلاً من نشر ثقافة السلام، أو تحاول نشر ثقافة السلام المفروض، الذى يحمل فى ظاهره ، معانى تبدو سامية، مثل المحافظة على حقوق الإنسان فى كل مكان، بينما يحمل فى باطنه دلالات خطيرة، تسعى إلى شق المجتمع الواحد، وتقسيم الدولة الواحدة.

ونظراً لارتفاع نسبة الأمية فى الدول النامية، وعدم امتلاك أفرادها للعقول القوية، القادرة على التفكير، للأسف، تبتلع نسبة كبيرة من الناس الطعم، وتبشر - من حيث لا تدرى بالمقاصد التحتية الخفية- بأهداف ثقافة السلام المزعوم.

أيضاً، بسبب ضعف ثقافة الأفراد فى الدول النامية، أو بسبب أهداف مقصودة لقلة من المثقفين، فإنهم يروجون للثقافة الوافدة ويعتبرون أنها السبيل الأوحد، للانفتاح على الآخرين، والخروج من حالة التقوقع السائدة، أو من حالة الانغلاق على الذات.

وكنتيجة طبيعية للسلبيات التى نقلتها العولمة، إلى الدول النامية، باتت بعض الأوضاع السيئة فى مجتمعنا، واضحة الرؤية، بحث يستطيع أن يدركها أى إنسان مهما كانت درجة ثقافته، ولكن رؤية الكاتب لها كانت من منظور ما يستطيع المنهج التربوى أن يقدمه لدرء ومنع حدوث هذه الأوضاع، أو ما يسهم به المنهج التربوى فى وضع حلول للمشكلات التى ترتبت على هذه الأوضاع المتردية.

ولعل أهم هذه الأوضاع يتمثل فى الآتي:

١ - ان المستقرئ لأحداث الواقع العملى أو الفعلى الملموس، يستطيع بسهولة اكتشاف وجود خلل فى تصرفات وسلوكيات الإنسان المصري، بسبب وجود منطقة إعتام فكرى فى عقله تحول دون وضوح الرؤية له بدرجة كبيرة، وتعوق سبيل تفكيره الموضوعي، وتحد من تصرفاته العاقلة المسئولة.

وعلى الرغم مما تقدم، فإن منطقة الإعتام التى سبق التنويه عنها لم تصل بعد إلى درجة الظلام الحاد، كما يدعى المتشائمون. لذا، يرى المتفائلون أن العقل المصرى مازال بعيداً عن دهاليز ومتاهات غياب الوعي. ومادام الأمر كذلك، فهناك أمل فى الإصلاح، ورد الأمور إلى نصابها، فيستطيع الإنسان أن يفكر لنفسه بدلاً من أن يفكر له الآخرون.

والسؤال: ما دور المنهج التربوى فى إكساب التلاميذ طرق التفكير السليم؟

٢- أيضاً، إن المتتبع للظواهر الاجتماعية التى تحدث داخل المجتمع، يجد أن هناك كثيراً من الأمور السلبية الدخيلة التى قد تفشت بين الكثير من الأفراد فى الآونة الأخيرة. فعلى سبيل المثال، أصبح العنف هو الوسيلة السائدة للتفاهم والتعامل بين الأفراد بعضهم البعض من ناحية، وبينهم وبين السلطات المسئولة من ناحية أخرى. كما انتشرت المخدرات والسموم البيضاء بدرجة مابين الشباب، كذلك ظهرت بعض الصور البغيضة بين الأفراد، كالاتكالية على الحكومة فى حل جميع مشكلاتهم، أو محاولة الكسب السريع بطرق غير مشروعة، أو السعى للوصول إلى مراكز متقدمة على أكتاف وجثث الآخرين، أو النفاق تحقيقاً لمآرب شخصية، والعمل على تلويث سمعة وشرف الذين يثبتون نجاحاً فى المجالات التى يعملون فيها، والكذب وعدم الصدق فى القول.

وعلى الرغم مما تقدم، فإن تلك الأمور لم تغزو بعد المجتمع بحيث تمثل ظاهرة عامة، ولم تصل بعد إلى طريق اللاعودة، ولكنها تنحصر فى بعض الأفراد، وربما تكون نسبتهم قد زادت بعض الشيء فى الفترة الأخيرة.

والسؤال: ما الدور الحيوى الذى ينبغى أن يقوم به المنهج التربوى ليحاصر السلبيات آنفة الذكر ويقضى عليها؟

٣- هناك من يقول إننا نعيش فى الزمن الرديء، لذا فإن الشباب مأزوم لأنه يجنى ثمار أخطاء لا ذنب له فيها. أيضاً، يعيش الجميع فى ضائقة فى ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التى يمر بها المجتمع، فيشعرون أنهم يسيرون منقادين، لا حول لهم ولا قوة، فى طريق مسدود.

ويعمل الإنسان المصرى ، ويصبر صبراً جميلاً، ولكنه يتساءل عن أسباب ازدياد الجرائم الخاصة بالاغتصاب، والقتل، والسرقات، إن الإنسان المصرى يعجز تماماً عن فهم كثير من الأمور التى يشهدها المجتمع، فيطلب تفسيراً لما يحدث، ولا يجد غير الحب المفقود بين الأفراد هو السبب المباشر وراء كل الأزمات والعلل التى يعانى منها المجتمع.

والسؤال: ما الدور الخطير الذى يجب أن يقوم به المنهج التربوى تجاه الظواهر المدمرة التى سبق التنويه إليها؟

٤- يعانى المجتمع من ردود أفعال فترات سابقة، فشلت فيها القيادات آنذاك فى الاقتراب من الأفراد فى أى موقع من مواقع العمل والإنتاج، مما جعل الإنسان المصرى يفقد الثقة بدرجة كبيرة فى أولئك المسئولين. ولقد ألقت التراكمات السابقة على عاتق المسئولين الحاليين مسئولية التفكير الجاد والهادئ ؛ من أجل إعادة ثقة الشباب بهم.

والسؤال: ما الدور المهم الذى ينبغى أن يحققه المنهج التربوى فى سبيل اجتياز الشباب موقف عدم الثقة الذى فرضته الظروف عليهم؟

٥- قبل أربعين سنة مضت، كان لقادة الفكر والفن والعلم والأدب سطوة فى حياة الأمة، إذ كان باستطاعتهم إنشاء المدارس الفكرية والفنية والأدبية التى كانت تقوم بتخريج الخلف الجديد من رجال الفكر الذى قد يكمل رسالة ومسيرة السلف، أو قد يثور عليها إذا وجد فيها تعطيلاً لحركة الفكر أو نمو المجتمع. لذا، كان لقادة الفكر دور بارز ومهم فى الحياة السياسية أو الاجتماعية أو فيهما معاً.

ولكن فى الأربعين سنة الأخيرة، اختفى تقريباً دور المفكرين، والأدهى من ذلك أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما تبدلت الأدوار، فأصبح رجل العمل هو رجل الفكر الذى يملى تصوره لمعنى الحياة ولحركة التاريخ ولمفهوم الحضارة والثقافة. وفى المقابل بات رجل الفكر مجرد فنى أو «تكنوقراط» يعمل على تحقيق رؤية رجل العمل. ولقد ترتب على ما تقدم أن شباب اليوم أصبح بحق بلا أساتذة، وبلا قدوة فكرية صالحة له.

والسؤال: كيف يمكن للمنهج التربوى إعادة الأدوار لكل من رجل الفكر ورجل العمل على نحو ما كانت عليه من أربعين سنة مضت؟

منطلقات لدور المنهج فى بناء الإنسان فى عصر العولمة:

١ - إن التربية عليها مسئولية بدرجة ما فى بناء الإنسان، وذلك وفقاً للفلسفة السائدة فى المجتمع. وفى مصر، على الرغم من القيود المفروضة على التربية، إلا أن لها دوراً لا يستهان به فى بناء الإنسان المصري. ومهما زعم المتشائمون بأن المدرسة يقتصر دورها على التعليم دون التربية، ومهما تعالت صيحات الأكثر تشاؤماً بأن التعليم قد هبط مستوى جودته، وبالتالى هبط مستوى إنتاجه، إلا أن التربية مازال لها دور مهم فى بناء الإنسان المصري، لأنه لولا هذا الدور فى ظل الظروف التى عاشتها البلاد فى الآونة الأخيرة، لوصل الإنسان المصرى إلى حد الضياع، ولفقد مكونات نفسه واتزانه. ومادام للتربية دور، فيكون للمنهج التربوى دور مناظر، وبخاصة أن المنهج هو الأداة المباشرة والرئيسية للتربية فى تحقيق أهدافها.

٢ - إن التحدى الذى تواجهه التربية الآن لم يعد له مثيلاً من قبل. ففى عالم الصراعات، يبدو الإنسان عاجزاً تماماً على فهم المتغيرات التى تحدث من حوله، فالعلم، رغم إنجازاته العظيمة، إلا أن النتائج الجانبية له تبدو مخيفة ومذهلة.

وعلى المستوى السياسي، على الرغم من أن التقارب الذى يحدث حالياً بين الدول الصناعية الأعظم يمثل خطوة مهمة ورائعة على طريق السلام، إلا أن نتائج هذا التقارب قد تكون على حساب الكثير من الدول، وبخاصة الدول النامية. وعلى النمط نفسه، نجد أن الكثير من الإفرازات التكنولوجية للعصر التى تحققت قد تصيب الإنسان بالقلق والتوتر، وتكون السبب المباشر فى عذابه وشقائه لما لها من مردودات جانبية خطيرة.

وعليه فإن الدور الذى ينبغى أن تقوم به التربية، ويجب أن تنجح فيه، هو إعادة الاستقرار الداخلى للشباب، وإعادة السلام الذى افتقدوه، وهنا، يكون للمنهج التربوى دور عظيم الشأن فى عالم التناقضات.

٣- إن نماء العامل البشرى لأية أمة من الأمم هو المكسب الحقيقى لها، لذا فالدولة الصحيحة نفسياً ليست هى الدولة الغنية بمواردها الطبيعية، أو بمصانعها الضخمة العالية، وليست الدولة التى تعتمد على ثرواتها التى لا تنتهي، أو التى تسعى إلى بناء جيش قوى لا يقهر، وإنما هى الدولة التى تستطيع أن تنمى أفرادها علمياً وسلوكياً واجتماعياً وانفعالياً. وباختصار، هى الدولة التى تبنى رأسمالها البشرى بحيث تكسب أفرادها الصحة العقلية.

تأسيساً على ما تقدم، يكون التفكير الابتكارى والإبداعى أحد الأهداف التربوية المهمة والملحة، التى يجب أن تعمل المدرسة جاهدة، وبكل إمكاناتها على إكسابه للتلاميذ من خلال المناهج التى تقدمها لهم.

والسؤال: ما مدى إسهام المناهج التى تقدمها المدرسة فى مصر فى إكساب التلاميذ التفكير الخلاق؟

نؤكد هنا مرة أخرى على أنه بالرغم من العقبات الكؤود التى تعترض مسيرة التعليم فى مصر، إلا أن المناهج التى تقدمها المدرسة فى مصر تسهم فى إكساب التلاميذ بدرجة معقولة التفكير المبدع الخلاق. والدليل على ذلك أن الإنسان المصرى عندما يجد الفرصة أمامه فى أى مجال من المجالات، فإنه يستنفر طاقاته فيبدع ويبتكر، ويكون له يد المبادأة فى ذلك المجال. وبالطبع، لا يتحقق ذلك من فراغ، وإنما له أصوله وجذوره التى تضرب بعمق فى التربية التى كانت بمثابة اللبنة الأولى التى أسهمت فى تكوينه، وأقصد بذلك المدرسة الابتدائية.

فى ضوء ما تقدم، اكتسبت قضية «بناء الإنسان» اليوم طابعاً عالمياً شاملاً ومميزاً، فالإنسان بحاضره ومستقبله هو الشغل الشاغل لجميع ا لمستويات الرسمية والأهلية على حد سواء. ولعل ذلك كان السبب المباشر وراء محاولة توفير جميع الإمكانات التى تضمن له مستوى راقيًا من المعيشة، والتى تحفظ له أمنه وسلامه، والتى تسعى إلى رفاهيته.

إن الجهود التى تبذل من الإنسان لهى جهود جبارة، فالطائرات التى تتكلف مئات ملايين الجنيهات كى تطير دون طيار حفظاً على حياته وسلامته، تمثل نموذجاً رائعاً من

هذه الجهود. وفى مجال الطب، تنفق مليارات الجنيهات من أجل السيطرة على بعض الأمراض، مثل الإيدز والسرطان كى ينعم الإنسان بحياته هادئًا مطمئناً. وفى مجال الاقتصاد، تسعى الدول بكل طاقاتها وإمكاناتها وتسخر بحوثها ودراساتها، من أجل رفع مستوى معيشة الإنسان كى يصل إلى سد احتياجاته فى بعض الدول وإلى رفاهيته فى بعض الدول الأخرى. وما يقال عن المجالات السابقة ينطبق أيضاً على بقية المجالات الأخرى، بحيث يكون من الصعب جداً حصر الجهود المبذولة من أجل الإنسان ومستقبله.

إن قضية «بناء الإنسان» من القضايا التى نالت اهتماماً عظيم الشأن فى برنامج الأمم المتحدة. فعلى سبيل المثال، وضع برنامج الأمم المتحدة معياراً «أسماه معيار التطور الإنساني، وهو لا يعتمد على معيار الثروة وحده، ولكنه يعتمد بشكل أساسى على مؤشرات ثلاثة، هي: متوسط العمر، ومعرفة القراءة والكتابة، والقوة الشرائية الأساسية»(١).

وتعتبر قضية «بناء الإنسان» مركز كل منظومة القضايا العالمية للشباب. ويتوقف على كيفية إدراكها وحلها فى النواحى العلمية والاجتماعية والإنسانية الفهم العام لجوهر وأهمية قضايا العصر العالمية الشاملة وسبل حلها على حد سواء»(٩).

ولقد أدرك المسئولون خطورة وأهمية التعليم كأحد المداخل، التى تسهم فى حل قضية «الإنسان ومستقبله» فتبنوا هذه القضية وناقشوها بصراحة.

وفى هذا الصدد، يتحدث «أحمد فتحى سرور» عن تطوير التعليم فى مصر، فيقول: «أن التعليم هو مفتاح المستقبل لمصر، ويتعرض تحديد صورة هذا المستقبل لأنواع من المتغيرات، بعضها يأتى من الخارج، والبعض الآخر ينبع من الداخل... ولهذا فإن مستقبل التعليم فى مصر يتوقف، ليس فقط على دراسة هياكل الماضى ومشاكل الحاضر، وإنما يتوقف أيضاً على البحث عن المضامين التى تعنيها المتغيرات، فى نظرة واقعية مستقبلية»(١٠).

أيضاً، يعلن **حسنى مبارك** فى خطابه يوم ١٥/ ١٢/ ١٩٩٠ أمام أعضاء مجلسى : الشعب والشورى ، ما يأتى :

«إن رسالة المعلم ليست فى التدريس بأمانة فقط بقدر ما هى بناء للإنسان، وتكوينه الصالح، وتمسكه بالقيم والفضائل، وإثارة انتمائه للإخوة والمجتمع. المدرسة والمعهد والجامعة ليست هى المبنى والمدرج والعمل فقط، إنما هى مؤسسات بناء البشر. ورسالة الفنانين والمثقفين، وأصحاب الفكر فى مجتمعنا هو فى النقد بقدر ما هى فى البناء. المجتمع أيها الأخوة وحدة مترابطة، وما تبنيه الأسرة يمكن أن تهدمه المدرسة، وما تبنيه دور العلم يمكن أن تحطمه دور الثقافة والفنون، وما يسعى إليه كل هؤلاء بالمعرفة والمبدأ والفضائل يمكن أن تهزه حياة سياسية معوجة، وأحزاب تنشغل عن رسالة البناء والتطورات بصغائر الأمور ومناورات التلاعب بعقول الجماهير».

أيضاً، يقول (حسنى مبارك) فى خطابه أمام مجلسى الشعب والشورى فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠، ما يلي:

إذا كان الإنسان المصرى هو هدف التنمية الشاملة، التى نسعى إليها، فينبغى أن يكون هو أيضاً المحور الثالث لبرنامج عملنا فى المرحلة المقبلة. فبدون مشاركته وحماسه، يصعب أن نأمل فى تنمية حقيقية شاملة ومستديمة. وبدون تطوير قدراته وإمكاناته يصعب أن نساير ركب التقدم الإنساني.

ومن ثم يصبح لزاما علينا أن نطور مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا كى تكون أكثر استجابة لما يأتى به العلم من أساليب جديدة وعلوم متطورة، وتقنيات ومهارات مبتكرة، تضاعف إنتاجية العمل، وتعزز قدرته على استغلال ثورة المعلومات لتحسين جودة ما ينتجه من سلع وخدمات وزيادة دخله وتأمين مستقبله.

ولعل المقام مناسب هنا لتأكيد اعتزازنا بالدور الوطنى المهم، الذى يقوم به أساتذة الجامعات والمفكرون والمثقفون، فى تعميق وعى المواطنين بالقضايا الوطنية والقومية، وإعداد الأجيال الشابة للنهوض بمسئولياتها فى المرحلة المقبلة. تلك المسئولية التى لا يمكن النهوض بها إلا باتباع المنهج العلمى فى التفكير والبحث، ومواكبة المفاهيم والأساليب العصرية المتقدمة فى شتى الأنشطة القومية.

وفى ظل ما تم إنجازه من إصلاح اقتصادى، أصبحت الفرصة سانحة الآن فى مصر للبدء فى تأكيد دور التكنولوجيا المتقدمة فى جميع مراحل التعليم، وربما كانت أول خطوة نحو تحقيق هذا الهدف، هى الاستمرار فى سياسة توفير فرص التعليم

المتميز لـلجميع. كما أن الخطـوة الثانية هى إدخال التـشريعات اللازمة التى تـكفل لنا مواكبة أحـدث التكنولوجيات والأخـذ بها. ومن هنا تقـع على عاتق مجلسـكم الموقر مسئولية إصدار بعـض القوانين والتشريعات التى تمكننا من ذلـك، مثل قانون التجارة الإلكترونية، وقانون تنظيم الصناعة، ونقل التكنولوجيا، وقانون حماية الملكية الفكرية.

كذلك؛ فنحن فى حاجة إلى مدرسة متطورة، تعمق الولاء والانتماء وتحيى الأمل، وتبنى ثقة الأجيال القادمة فى القدرة على الإنجاز.

ونحن نريـد معلماً متطوراً، يـكون قدوة فى عمله وثـقافته وخلقه وسلـوكه. نريد مناهـج تعليـمية حديـثة، تواكب الألـفية الثـالثة، وتركـز على مفـاتيح المعـرفة وطرق البحث وتنمية الخبرات والقدرات.

إذاً، تؤكد القيـادة السياسية على أهـمية اتباع المنهج الـعلمى فى التفكـير والبحث، وعلى ضرورة تطوير المناهـج التعليمية، التى تركز على مفاتـيح المعرفة وطرق البحث وتنمية الخبرات والقدرات، تحقيقاً للأمل المنشود فى خلق قاعدة علمية بحثية.

أيضاً، تركز القيادة السـياسية على الدور المهم للتكنولوجيـا، على أساس إسهاماتها الفاعلـة، فى تحقيق التـعليم المتمـيز، الذى يسهم بـدوره فى تحقيق التـقدم، وفى إنجاز نهضة شاملة.

كذلك، تؤمن القيادة الـسياسية إيماناً مطلقاً وراسخاً بالدور الـكبير والخطير، الذى يمكن أن تـلعبه التربـية فى بناء الإنسـان، وتضع تصوراً لأبـعاد هذا الدور، يتمـثل فى الآتى:

* المدرسة والمعلم لهما دور فى بناء الإنسان.
* التربية الأخلاقية من أهم مقومات بناء الإنسان.
* الانتماء الوطنى من السمات الضرورية التى يجب مراعاتها فى بناء الإنسان.
* التدفق المعلوماتى والتقدم التقنى يحققان التعليم المتميز، الذى يسهم بدوره فى بناء الإنسان.
* النقد العلمى القائم على إبراز الحقائق يسهم فى بناء الإنسان.

* المدرسة منظومة فرعية فى النظام الأشمل للمجتمع، لذا فالتعاون بينها وبين بقية المؤسسات ضرورة لازمة، تنعكس آثارها على بناء الإنسان.

* تقديم الجوانب الثقافية والفنية رفيعة المستوى تنعكس آثارها إيجاباً فى بناء الإنسان.

* ممارسة الحياة السياسية السليمة لها دور فى بناء الإنسان.

وهنا قد يقول قائل إن دور التربية مرسوم ومحدد لها من سلطات عليا، وهذا يمثل فى حد ذاته قهراً للتربية .

والرد على ما تقدم هو أن تحديد الأدوار المطلوبة من التربية ليست فى واقع الأمر مسئولية التربويين فقط، وإنما هى مسئولية ينبغى أن يشترك فيها جميع قطاعات المجتمع بما فى ذلك القيادات السياسية والتنفيذية، فلا مانع إذاً من إبداء الرأى فى الأدوار التى يجب أن يتحمل التعليم مسئوليتها.

وبعامة، ينبغى أن تكون التوجهات آنفة الذكر، هى نقطة البداية والانطلاق نحو وضع خريطة تربوية يتم تحقيقها خلال ألف يوم، شأنها فى ذلك شأن خطة إصلاح مسار الاقتصاد، على أن تحدد على هذه الخريطة التربوية المقترحة، الأبعاد والخطوط والمهارات التى تسهم فى بناء الإنسان المصري.

دور المنهج التربوى فى بناء الإنسان فى عصر العولمة

فى عصر العولمة، ينبغى أن يظهر واضحاً وجلياً دور المنهج التربوى فى بناء الإنسان المعاصر، إذ بدون هذا الدور، قد لا يستطيع الإنسان فهم وإدراك عديد من المتغيرات التى تحدث من حوله.

ونقدم فيما يلى تصوراً يتضمن رؤية للخطوط العريضة للأدوار، التى يمكن أن يسهم بها المنهج التربوى فى بناء الإنسان من خلال تحقيق المحاور التالية : (١١)

أولاً: المنهج وإكساب الفرد الفكر الإنسانى:

ويتحقق هذا المحور عن طريق مراعاة الأبعاد التالية:

١- المنهج والحرية:

(أ) مفهوم الحرية فى الأيديولوجيات المختلفة.

(ب) حدود حرية الفرد من حيث الحقوق والواجبات.

(جـ) حرية الفرد وحرية الجماعة.

(د) قضية الحرية فى ظل افتقاد الفكر المصرى لمحاوره، وعدم بلورة ملامحه وأسسه.

(هـ) الصدام المتوقع بين الفرد والحكومة إذا حدث عدم توافق بين حرية الفرد الممنوحة له نظرياً وبين آليات الواقع وقوانينه.

(و) تحديات القرن الحادى والعشرين وعلاقاتها إيجاباً وسلباً بحرية الفرد.

(ز) العلاقة بين ثقافة الفرد وحريته.

(ح) أثر الثقافة الواردة على الفكر الحر للفرد.

(ط) العلاقة بين حرية الفرد، وإبداعه الفنى.

٢- المنهج والاستقلال:

(أ) مفهوم الاستقلال وأنواعه.

(ب) العلاقة المتبادلة بين استقلال الفرد واعتماده على نفسه.

(جـ) حدود الاستقلال لكل من الجنسين.

(د) حدود الاستقلال فى ظل الأعراف والتقاليد والقيم الدينية السائدة فى المجتمع.

(هـ) العلاقة بين استقلال الفرد وبين الفكر الحر والإبداع الفنى.

٣- المنهج والسياسة:

(أ) كفالة الحقوق السياسية لكل إنسان مهما كان جنسه أو لونه أو عقيدته.

(ب) الديمقراطية أساس الحكم.

(جـ) تعدد الأحزاب.

(د) عدم حماية الفساد فى أى موقع من المواقع.

(هـ) عدم الانحياز أو الدخول فى أحزاب وتحالفات عسكرية مع دول أخري.

(و) مصر جزء من الأمة العربية، وترتبط بوشائج نسب قوية مع الدول الأفريقية.

(ز) الإيمان بعلاقات حسن الجوار مع جميع الدول المجاورة.

(ح) حل المشكلات العالمية والدولية سلمياً، ودون اللجوء إلى الحرب.

(ط) محاربة التطرف بجميع صوره.

(ى) نصرة الشعب الفلسطينى حتى يحصل على كافة حقوقه المشروعة.

(ك) أهمية إقامة علاقات طيبة بين مصر وبين جميع دول العالم.

٤- المنهج والاقتصاد:

(أ) القطاعان العام والخاص متساويان فى رعاية الدولة لهما.

(ب) حقوق العمال وحمايتهم ضد تعسف أصحاب العمل.

(جـ) إتاحة الفرصة للاستثمار وإزالة العقبات البيروقراطية.

(د) وضع خطة طموحة لتحرير الاقتصاد المصرى بهدف:

* زيادة الإنتاج.
* خلق فرص عمل جديدة.
* محاربة البطالة.
* توفير الثقة بين المستثمر وأجهزة الدولة.
* استراتيجية العمل تقوم على أساس سياسة عامة، لا ترتبط بالأشخاص.

(هـ) التكامل بين التخطيط والتنفيذ.

(و) تطوير التعليم لمسايرة التنمية الاقتصادية، وزيادة القدرة التكنولوجية.

(ز) التكامل الاقتصادى بين مصر والدول العربية من ناحية، وبين مصر والدول الإفريقية من ناحية أخرى.

(ح) التعاون الاقتصادى بين مصر وجميع بلاد العالم.

(ط) سرعة إنجاز المشروعات وإحكام الرقابة على الأسعار.

٥- المنهج وممارسة الحياة التعاونية:

(أ) الفرد عنصر فى جماعة.

(ب) العلاقات المتبادلة التأثير بين الفرد والجماعة.

(جـ) أهمية التعاون على مستوى الأفراد، والجماعات، والدول.

(د) مهارات التعاون.

٦- المنهج، والتفكير والإبداع فى حل المشكلات:

(أ) توجيه عملية الاختراع نحو تأمين مصالح الجنس البشرى وتقدمه، وإيجاد الحلول لمشكلاته العامة.

(ب) يسهم التقدم العلمى فى خدمة المسائل الحيوية المهمة فى حياة الإنسان.

(جـ) استطاع العباقرة من ذوى المواهب الخاصة حسم الكثير من مشكلات الإنسان.

(د) دراسة الماضى تسهم فى فهم أوضح للظروف التى انبثقت منها مشكلات الحاضر.

(هـ) يساعد التفكير بلغة العلاقات بين الأشياء على إدراك الروابط بين الأحداث المختلفة.

(و) «التفكير المركب» كأساس للتعامل مع تعقيدات العصر الحالي.

(ز) «التفكير المركب وعلاقته بكل من:

* الإبـــــداع.
* مهارة اتخاذ القرارات الحكيمة.
* حـــل المشكلات.
* استباق الأحداث والتنبؤ بها.
* فهم أسس وأهداف الإطار الاجتماعى والأخلاقى الجديدين.
* المفهوم الجديد للطبيعة الإنسانية الذى يقوم على المعرفتين: النفسية

والاجتماعية، ويتضمن النظرة العميقة الثابتة للعلاقات الشخصية والاجتماعية.

ثانياً: المنهج وبناء آليات الفرد على ضوء تحديات القرن الحادى والعشرين

ويتحقق هذا المحور عن طريق مراعاة الأبعاد التالية:

١- المنهج والتكنولوجيا.

(أ) المقصود بالأمية التكنولوجية.

(ب) الإيجابيات والسلبيات الناجمة عن توظيف التكنولوجيا.

(جـ) طبيعة وحدود الدور الذى يجب أن تؤديه التكنولوجيا فى حياتنا.

(د) المهارات اللازمة لإتقان التعامل مع التكنولوجيا والسيطرة عليها.

(هـ) تاريخ كل من التطور التكنولوجى فى مجالى الصناعة والزراعة.

(و) التكنولوجيا وعلاقتها بـ:

* استنفاد المواد الخام.
* تلوث البيئة الطبيعية.
* دور الجهد البشرى الذى يعطى للحياة الإنسانية معناها الحقيقي.
* التخصص المهنى والوظيفي.
* اكتساب الأسلوب العلمى فى التفكير.
* العناصر الثقافية الواردة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع.
* تطور الصناعة والزراعة، وما يترتب على ذلك من آثار جانبية، مثل الهجرة من الريف إلى المدينة، ومن مدينة لأخرى، ومن بلد إلى آخر.
* أثر استخدام وسائل تكنولوجية جديدة، فى ظهور آفات وأمراض اجتماعية جديدة.

٢- المنهج والمحافظة على البقاء:

(أ) مهارات تحصيل الغذاء الصحى والضروري، وعلاقتها بالمحافظة على البقاء.

(ب) مهارات المحافظة على الصحة البدنية والنفسية، وعلاقتها بالمحافظة على البقاء.

(جـ) العلاقة بين ظروف المجتمع والمحافظة على البقاء.

(د) المشكلات المعاصرة (على المستويين: المحلى والعالمى) والمحافظة على البقاء.

(هـ) دور الفرد، والدولة، والهيئات العالمية فى المحافظة على البقاء.

٣- الاختيار المهنى:

(أ) الاختيار المهنى فى المجتمعات الزراعية.

(ب) الاختيار المهنى فى المجتمعات الصناعية.

(جـ) أسلوب حياة الفرد المستقبلى على ضوء اختياره المهني.

(د) البدائل المختلفة فى مجال الاختيار المهني.

(هـ) مهارات الاختيار المهنى:

* مهارات تحديد الأهداف على المستويين: القصير والطويل.

* مهارات اتخاذ القرارات الأصلية والبديلة.

* مهارات التخطيط للإنجاز.

٤- المنهج والتعلم الذاتى:

(أ) المقصود بالتعلم الذاتى وأهميته.

(ب) مهارات التعلم الذاتي.

(جـ) القيود والمعوقات التى قد تحول دون فاعلية التعلم الذاتي.

(د) التعلم الذاتى وموقعه على خريطة السياسة التربوية.

(هـ) التعلم الذاتى وعلاقته بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

(و) التعلم الذاتى وعلاقته بأنشطة الابتكار والبحث والإنتاج.

(ز) التعلم الذاتى على ضوء تحديات القرن الحادى والعشرين.

ثالثاً: المنهج وإعادة بناء شخصية الفرد:

ويتحقق هذا المحور عن طريق مراعاة الأبعاد التالية:

١- المنهج والتواصل:

(أ) مهارات التواصل الأساسية (القراءة والكتابة).

(ب) وسائل التواصل السمعية والبصرية (الراديو، التلفاز...).

(جـ) المهارات الجانبية اللازمة للسيطرة على مهارات التواصل (القدرة على الإصغاء، استيعاب المعلومات، تفهم أفكار الآخرين ومشاعرهم، القدرة على التعبير وتحليل المشاعر وإجراء المفاوضات وتسوية الخلافات وحل المشكلات).

(د) الندوات والاجتماعات كإحدى طرق إخضاع العلاقات الإنسانية للعمليات التواصلية الآلية.

(هـ) العلاقة بين التواصل والفكر الخلاق المبدع.

٢- المنهج والمواطنة الصالحة:

(أ) مفهوم المواطنة الصالحة على المستوى المحلي، وعلى المستوى العالمي.

(ب) المواطنة الصالحة وقدرة الفرد على ممارسة تأثيره فى الشئون العامة.

(جـ) المواطنة الصالحة ومعرفة الفرد للقضايا العامة ذات الأهمية.

(د) المواطنة الصالحة وقدرة الفرد على التفكير والمناقشة واتخاذ القرارات والابتكار.

(هـ) المواطنة الصالحة ومهارات العمل التعاوني.

(و) المواطنة الصالحة ومهارات الاتصال.

(ز) المواطنة الصالحة والعمل من خلال هدف عام ومشترك.

(ح) المواطنة الصالحة وتماسك المجتمع وانتشار العدالة بين ربوعه.

(ط) المواطنة الصالحة وخلق أفراد ذوى عقلية دولية.

(ى) المواطنة الصالحة وتقدير إسهامات كافة الشعوب نحو المجتمع الدولى.

(ك) المواطنة الصالحة والرؤية الواقعية لبعض المشكلات الدولية.

(ل) المواطنة الصالحة وخلق فلسفة للحياة يمكن أن تكون دولية.

(م) المواطنة الصالحة وبرامج التفاهم الدولي.

٣- المنهج والتربية الأخلاقية:

(أ) التربية الأخلاقية وأهميتها فى مقابلة التضاد فى القيم.

(ب) التربية الأخلاقية ودورها فى توفير حياة سهلة بسيطة للأفراد.

(جـ) التربية الأخلاقية والتعاون بين الأفراد.

(د) التربية الأخلاقية ومقاومة التميز بجميع أشكاله وألوانه.

(هـ) التربية الأخلاقية وعلاقتها بقضايا العدالة والمساواة، وفرز القيم واختبار صحة الأعمال.

(و) أسلوب المداولات والمناقشات الحرة واكتساب التربية الأخلاقية.

(ز) النماذج والعينات الإنسانية كأحد أساليب التربية الأخلاقية الفعالة.

(ح) وسائل الإعلام والتربية الأخلاقية.

(ط) الأخلاقيات الجديدة التى تفرزها التغيرات الاجتماعية والثقافية.

(ى) التربية الأخلاقية وخلفية الفرد الثقافية والاجتماعية.

(ك) التربية الأخلاقية والثبات الثقافي.

(ل) التربية الأخلاقية والديموقراطية.

(م) التربية الأخلاقية والحرية.

٤- المنهج وإنسانية الإنسان:

(أ) التأهيل المهنى ودوره فى ارتقاء المستوى المادى للفرد.

(ب) الإيمان بقدرة الإنسان على التأثير على مجريات الأحداث عبر العصور.

(جـ) قدرة الإنسان على مشاركة الآخرين والتعلم منهم.

(د) إتاحة الفرص لـلأفراد لإثبات وجودهم، ورعايتهم، والإصـغاء إلى آرائهم، وعرض وجهات نظرهم بحرية تامة.

(هـ) القواعد الأخلاقية التى تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع.

(و) العلاقة بين تصرفات وسلوكيات الفرد ودرجة ثقافته.

(ز) الفرد له دور ضمن الجماعة التى ينتمى إليها.

(ح) التأهيل المهنى ودوره فى ارتقاء المستوى الفكرى للفرد.

***

خاتمـة:

تضمنت هذه الدراسة دور المنهج التربوى فى بناء الفرد، حيث تطرقت لمشكلات العولمة، والآثـار السلبية لتلك المشكلات فـى المنهج التربوي، ثم تصـدت لدور المنهج التـربوى فى بناء المنـهج فى عصر العـولمة، من خلال المنطلقات التى يتم على أساسها تحديد أبعاد ذلك الدور.

ويمكن أن تـكون هذه الدراسة مفـيدة بالنسبـة للدارسين والعامـلين فى مجال المناهـج الوظيفية، حيث قـدمت الأساسيات التى يجـب مراعاتها فى المنهج التربـوى فى عصر العولمة، كى يقدم المنهج إسهـامات حقيقية وفعالة فى بناء المجتمع.

المراجع

(١) محمد الهادى عفيفي، **التربية والتغير الثقافي**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

(٢) زكى نجيب محمود، «ثقافة التغيير»، **جريدة الأهرام** فى ٢١/ ١٠/ ١٩٨٦.

(٣) عبدالعزيز أمين، **الإنسان والعلم**، (سلسلة كتابك، العدد ١٣٤)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠، ص٢٢.

(٤) لمعرفة المزيد من تفصيلات هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى المصدر التالي:

مجدى عزيز إبراهيم، «**المنهج التربوى العالمى**»، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

(٥) أمانى عبدالحميد، «فى ندوة استراتيجية للثقافة العربية: دعوة للحفاظ على الشخصية القومية»، **مجلة الهلال**، مايو ٢٠٠١.

(٦) محمود مرتضى، «الغضب ضد مساوئ العولمة»، **المرجع السابق**، ص١٢١.

(٧) مايك فيذرستون (المحرر)، **ثقافة العولمة.. القومية والعولمة والحداثة**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص١١.

(٨) مايك فيذرسون وآخرون (المحررون)، **محدثات العولمة**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ص٤ ـ ٥.

(٩) إيفان خرولوف، «الإنسان ومستقبله : النواحى العلمية والاجتماعية والإنسانية»، وقد جاء هذا الإقتباس فى المصدر :

أكاديمية العلوم السوفيتية، **العام ٢٠٠٠ : المعضلات العالمية ومستقبل البشرية**، موسكو، ١٩٨٧.

(١٠) أحمد فتحى سرور، **تطوير التعليم فى مصر**، القاهرة: مطبوعات وزارة التربية والتعليم، ١٩٨٩، ص ٧.

(١١) مجدى عزيز إبراهيم، **قضايا فى المنهج التربوى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص ص ٢٧٨ ـ ٢٨٥.